اللغة العربية هويتنا زمن العولمة

الدين الإسلامي أساس هويتنا في مواجهة التحديات، واليوم سيكون الحديث فيه عن اللغة العربية: فاللغة والدين هما العنصران المركزيان لأي ثقافة أو حضارة، اللغة وعاء الثقافة، والثقافة أساس الحضارة، والحضارة ترجمة للهُوية، ومن هنا كانت اللغات من أهم الأركان التي تعتمد علها الحضارات، ومن أهم العوامل التي تساهم في تشكيل هوية الأمة كما أن اللغة أساس للوحدة: فبها تنهض الأمم ويعلو شأنها وتتحقق وحدتها، وفي غيابها تتفكك الشعوب وتضمحل الروابط وتتداعى وينحسر الانتماء.

إن وجود أمة قائمة ذات شخصية متميزة وكيان مستقل، وذات تقاليد وأعراف وطبائع نفسية وسلوكية مرتبط تمام الارتباط ببقاء لغة هذه الأمة، بل مرتهن بحياة اللغة أو موتها، أو محاذٍ لمستويات ازدهارها أو ضعفها.

ولما نظر عقلاء الأمم إلى هذه القضية اجتهدوا في المحافظة على لغاتهم؛ لأنها عنوان تماسكهم وأساس حضاراتهم ومرتكز وجودهم.

قال عمر رضي الله عنه: "تكلموا العربية فإنها تزيد المروءة "، قلت: ومن رطن في زماننا في مجالسنا بلغة أجنبية احتقره العقلاء وانتقصوه.

وعن عمر رضي الله عنه أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري: إن كاتبك الذي كتب إلي لحن لحناً –أي أخطأ خطأ– فاضربه سوطا.

قلت: لو أقمنا حد عمر رضي الله عنه على الذين يلحنون في الكلام أو الكتابة ما وضعنا العصا.

ثم تنكب أهل اللغة العربية خطاً غير سوية، فانتشرت العجمة في الناس حتى استساغوا الأخطاء، ولم يجدوا الجزاء مما حدا بالفقهاء إلى التشديد عليهم في هذا الباب حرصاً على لغة القرآن والسنة، بل كره السلف عدم استخدام لغة العرب، ولو كان ذلك في المعاملات ومنهم مالك والشافعي وأحمد، **بل قال مالك: "من تكلم في مسجدنا هذا بغير العربية أخرج منه".**

والقرآن والإسلام لهما أثر عظيم في اللغة، وإليه ترجع نشأة علوم اللغة العربية من نحو وصرف ولغة ومعجم وبلاغة وأدب، وكان دافعا لأهل الإسلام من عرب وغيرهم ليتسابقوا في تعلم العربية وإجادتها، والتفاصح في استعمالها، بل إنه نقل العربية لتكون لغة عالمية حية لا تَهُمُّ العربي وحده بل تَهُمُّ كل مسلم أياً كان عرقه، وصار في اعتقاد كل مسلم في عصر الازدهار الإسلامي أن العربية لأنها حملت كتاب الله . أفضل لغة. وهي الأقدر على التعبير عن معاني القرآن، إن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي يتميزون بها، واعتياد

اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بيناً، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأيضاً فإن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب؛ لأن فَهْم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية.

عباد الله: اللغة العربية من أعظم اللغات.

يقول الدكتور أحمد الضبيب: "إن دراسة أجريت في اليابان على اللغات العالمية تستهدف معرفة أكثر اللغات وضوحا صوتيا في استخدامات الحاسب الآلي، فثبت أن اللغة العربية تتصدر هذه اللغات في هذه الناحية" قلت فالله عز وجل يقول: (بلسان عربي مبين) بينما لا تخلو اللغات الأخرى من الرطانات.

يقول أحد علماء اللغات: هنالك خمس لغات فقط تشكل أهمية كبرى لنقل الحضارة هي: اللغة الصينية القديمة والسنسكريتية والعربية والإغريقية واللاتينية ثم يقول (إن من المخيب للظن أن نعلم أن التأثير الحضاري العام للغة الإنجليزية لم يكن إلا تافها، فإن اللغة الإنجليزية نفسها ما كانت لتنتشر إلا لأن الإنجليز استعمروا أعدادا هائلة من الأصقاع).

أيها المسلمون: انظروا إلى غيرة الأعاجم على لغاتهم: فقد علموا أن إضعاف لغتهم القومية وإحلال اللغات الأجنبية القوية مكانها يعد شكلا من أشكال الاحتواء في عصر العولمة؛ بل هو شكل من أشكال تحطيم

الثقافات لدى الشعوب، وإضعاف انتماءاتها إلى حضارتها الأصلية سواء كان مخططا تسهر عليه مؤسسات أجنبية أم كان عشوائيا متمثلا في إعجاب المغلوب بلغة الغالب وجريه وراءه.

فعادوا إلى ثقافتهم وحضارتهم ولغتهم ودينهم يحمونها بأشد أنواع الحماية.

وإليك بعض النماذج لذلك:

❖ هذه فرنسا برغم قربها من بلاد الإنجليز، واحتكاكها بهذه الجارة القوية إلا أنها لم تتخلص من لغتها وتذوب في لغة الإنجليز؛ بل ألزمت الحكومة الشعب باللغة الفرنسية والتزم بها الشعب في جميع تعاملاته.

❖ أسبانيا يرتادها أكثر من ٥٠ مليون سائح سنويا، ومع ذلك لم يكتب الأسبان شوارعهم أو تعليمات المرور بلغة أجنبية، لم يغيروا الإشارات في متاجرهم أو مقاهيهم أو فنادقهم إلى اللغة الأكثر استعمالا في العالم أعني اللغة الإنجليزية.

❖ ألمانيا لا يتكلمون بغير لغتهم مهما حاولت أن تقنعهم، ومهما كانت حاجتك ورغم ذلك تقدم هذه القوائم باللغة الألمانية.

❖ التعليم في اليابان والتعامل لا يكون إلا باللغة اليابانية مع صعوبتها كتابة ونطقاً ونشرت جريدة الشرق الأوسط مقالاً بعنوان "اليابان إنجليزية ضعيفة وجهل بالعلم" جاء ما مفاده: إن كبار المسؤولين السياسيين في اليابان لا يحسنون الإنجليزية، وإن الشعب الياباني لا يعطي أهمية كبيرة

لتعلم اللغة الإنجليزية، بل إن اليابانيين يعانون من ضعف شديد وشامل في اللغة الإنجليزية.

وأقولها: اللغة الانجليزية لغة عمل، أما أن تكون لغة الثقافة في مجتمعنا ولغة الدين والحضارة فهذا في حدِّ ذاته خطر على لغتنا الأم، ويجب أن نحافظ على لغتنا العربية مهما كانت التضحيات.

عباد الله الحرب على اللغة العربية: يتمثل في ثلاثة محاور: الأول: اللغة العامية. الثاني: اللغة الإنجليزية. الثالث: التغيير في نمط دراسة الفصحى مثل (كتابة الشعر الحديث، النحو، البلاغة، والبيان والصرف وغيرها).

إن أول من بدأ في الاهتمام بالعامية هم أعداؤنا من نصارى الغرب الأوروبي وخاصة المستشرقين، فقد أدرك أعداء الإسلام أن القضاء على وحدة المسلمين لا يمكن أن يتم ما دام هناك لغة واحدة يمتلكها المسلمون ويربطون بها حاضرهم بماضيهم، ذلك أن اللغة هي تراث الأمة الإسلامية وحين تترك أمة لغتها فإنها في الوقت ذاته تتنازل عن تراثها ضرورة ويصبح عليها من السهل أن تندمج في أية حضارة، وتتأثر بأية ثقافة كما هو ماثل في كثير من بلاد المسلمين لا سيما التي تنجست أرضها بأقدام الغزاة الصليبيين المستعمرين، وتلوث إعلامها بسموم العلمانية.

لقد أقصيت اللغة الفصحى وأقيم عليها حرب ضروس من الداخل والخارج، وهذه صورة من صور الهزيمة النفسية لهذه اللغة من أبنائها، ويا لله كم انتشرت العامية في كتبنا ومدارسنا وجرائدنا وشعرنا انتشارا يهز كيان اللغة العربية ويضر بها.

إن إهمال أدبنا القديم وتوجيه العناية إلى الأدب الحديث؛ بل التافه منه في الأعم الأغلب سعى إلى فصل حياتنا الراهنة والمستقبلية عن مصادرها القديمة، حتى تتفرق جماعتنا ويتشتت شملنا، وحتى لا تكون أخلاقنا امتدادا لأخلاق آبائنا، ولا تكون أذواقنا امتدادا لأذواق آبائنا ولا تكون لغتنا وأساليبنا امتدادا للغتهم وأساليبهم، وحتى لا يكون إسلامنا امتدادا لإسلامهم.

وإن تقديس اللغة الأجنبية هو من أقبح الصور، إن التنصير والاستعمار وغيرهما يرسلون جيوشا تحارب لغة القوم ثم يرسلون الجيوش العسكرية لتحتل البلاد، والتاريخ شاهد بذلك، إن أي دعوة ضد اللغة العربية غايتها هي القضاء على المصدرين الأساسيين في هذا الدين: القرآن والسنة، وبه يتم القضاء على الإسلام مطلقا. **الخطبة الثانية:**

وهذه قصص مؤلمة من واقعنا:

ـ **هذا شاب يستعرض عند إشارات المرور بسماع مطرب من مطربي "الخواجات"**، وتجد هذا الشاب متأثرا بموسيقى الغرب أو يرقص في

سيارته برقصهم ليدلل للمجتمع على ثقافته وتطوره ومسايرته كذنب من أذناب الغرب وويل للأمة من أمثال هؤلاء.

ـ **هذا رجل لا يحب الكلام باللغة العربية**، حتى ولو كانت عامية بل يحب أن يرطن باللغة الأجنبية وخاصة مع العمال الأعاجم الذين قدموا إلينا ليظهر تمكنه وثقافته وعلو كعبه في هذه اللغة، وما درى المسكين أنه قد حقر نفسه أمام هذا العامل وأمام لغته ومجتمعه.

ـ **تجاهر كثير من المحلات التجارية والمؤسسات الخاصة والشركات العاملة في البلاد العربية بكتابة لوحات محلاتها بالأجنبية**، وتسطير تقاريرها وصياغة عقودها وإصدار تعليماتها إلى العاملين فيها وإن كانوا عربا باللغة الإنجليزية، الأمر الذي يمس الوضع السيادي للغة العربية بوصفها اللغة الرسمية.

وهذا يرقى إلى درجة الاستهتار بهيبة الأمة الإسلامية والانتقاص من كرامة البلد، وفي بعض البلدان يشكل هذا جريمة يعاقب عليها القانون. وهكذا أصبحت المشكلة مشكلتنا، والعيب فينا إن لم نتكلم اللغة الأجنبية، وليس في الوافد الذي يفترض فيه أن يتعلم لغة البلاد التي يأتي للعمل فيها كما يحدث في كل بلاد العالم.

- **أصبح المسلم العربي في بلده غريبا في كثير من المؤسسات والشركات**، مثل المستشفيات والفنادق ووكالات السفر وبعض المطاعم.

لقد أصبح العربي المسلم الذي يرطن لغة أجنبية يفتخر كأنه حافظ للقرآن والصحاح والمسانيد. فيا لله العجب؟؟

كم أفسدت وسائل الضرار من عقل ولسان؟!

وكم حطمت من دين ولغة؟!

ولكنه الجهل يعمي ويصم. وأنا لا أريد أن أفْجَأَكُم أن اللغات في العالم بدأت تندثر، والتاريخ يشهد بذلك وخاصة في عصرنا، بسبب التقارب الكوني بين البشر وطغيان اللغات ذات النفوذ على اللغات المحلية خاصة في عصر العولمة والانفتاح العالمي.

عباد الله: أضرار عدم الاهتمام بالفصحى على المسلمين:

١. **الترويج لمخططات أعداء الإسلام الذين استخدموا كل وسيلة متاحة لهدم الإسلام**، ولا سيما العدوان على لغتنا، سواء بإدخال اللغة الأجنبية التي تدل على الهزيمة النفسية أو الانبهار بكل ما يأتي من عند الغربيين، أم باللهجة العامية.

٢. **العدوان على اللغة العربية، وذلك في نشر العامية الركيكة**، والدفاع عنها وبثها بين الناشئة لتزاحم الفصحى كما هو الحال الآن.

٣. **إبعاد الناشئة عن تدبر وفهم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم**، وذلك بحملهم على هجر اللسان العربي الفصيح الذي أنزل به

الكتاب والسنة. ولذلك أصبح القرآن عند أبنائنا طلاسم، وكذا السنة النبوية الشريفة.

٤. **تقديس النبطيين من شعراء وخطباء ودواوين**؛ بل بعض المحاضرين والمنشدين بالعامية، كما أن اتخاذ الشعر النبطي والعامية وسيلة للدعوة إلى الله تعالى مصيبة جديدة.

٥. **جعل اللغة العربية مثاراً للاستهزاء والطرف والتعليقات السمجة لإضحاك الناس**، فمن يتكلم الفصحى يكون مآله إلى الاستهزاء والسخرية. بينما التحدث باللغة الإنجليزية دليل على الرقي والتقدم والتحضر.

٦. **نشر الإنجليزية واللغة العامية يؤدي إلى تمزيق الأمة الإسلامية إلى أمم بعدد لهجاتها**، كما أن اللهجات العامية ستثير النعرات القبلية والعصبية والقومية.

٧. يظن بعض المهتمين باللغة الإنجليزية واللهجات العامية أن اللغة العربية محفوظة بالقرآن، وأن الله تكفل بحفظها بقوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).

٨. **والصواب: أن الدول الإسلامية في شرق آسيا كانت لغتها العربية الفصحى**، ثم رحبوا بالعامية واهتموا باللغات المحلية، فانتهت

اللغة العربية من بلادهم وأصبحوا أعاجم لا يدرون من لغة القرآن عن شيء، وانفصلوا عن تراث أمتهم، فسادهم الجهل وانتشرت بينهم البدع.

عباد الله فيجب علينا: الاعتزاز باللغة، وهذا لا يكون من خلال الخطب الرنانة والتعبيرات الشعرية والمديح المتكلف، وإنما من خلال الممارسة والتطبيق العملي لإحلال هذه اللغة محلها اللائق في النفوس.